وما سواها (253)

مدارات ما نكتب!!

د. صادق السامرائي- الطب النفساني، العراق / أمريكا

واقعنا الثقافي تتأجج فيه ثورة كتابية متحركة بإتجاهات متاهية بلا رؤية , أو بوصلة تحدد المسار , وتمنح الأقلام هدفا واقعيا يصلح لبناء الأمة وتواصل الأجيال

الكل يكتب , ما دام يجيد الضرب على أزرار (الكي بورد) , وتلك محنة حضارية تشوش فضاءات النظر

هل إندرست الكتابة , وداستها سنابك التقنيات المعاصرة , أم أن لها دور وقيمة في صناعة الإنسان , بعد ان كانت الأرشيف الحضاري الجامع للأجيال في بودقة كتاب؟

كتبنا وكتبنا وسنبقى نكتب ونكتب , وما كتبناه ونكتبه يأخذنا بعيدا عن جوهر المأساة ولب المعاناة والمقاساة اليومية للإنسان

واقعنا الثقافي تتأجج فيه ثورة كتابية متحركة بإتجاهات متاهية بلا رؤية , أو بوصلة تحدد المسار , وتمنح الأقلام هدفا واقعيا يصلح لبناء الأمة وتواصل الأجيال.

فالكل يكتب , ما دام يجيد الضرب على أزرار (الكي بورد) , وتلك محنة حضارية تشوش فضاءات النظر , وتملي على القارئ الشعور بالنفور والغثيان مما يُنشر , لأنه ما عاد يعني سوى أنه مجرد كلام , وأضغاث تصورات وتفاعلات تطارد سرابات , وتحلق في وديان الهذر!!

فهل إندرست الكتابة , وداستها سنابك التقنيات المعاصرة , أم أن لها دور وقيمة في صناعة الإنسان , بعد ان كانت الأرشيف الحضاري الجامع للأجيال في بودقة كتاب؟

وهل إنتصر الكتبة على الكتّاب؟!!

هذه بعض الإقترابات من فضاءات الكتابة المنكوبة بنا!!

أولا: ماذا نكتب؟!!

كتبنا وكتبنا وسنبقى نكتب ونكتب , وما كتبناه ونكتبه يأخذنا بعيدا عن جوهر المأساة ولب المعاناة والمقاساة اليومية للإنسان ، ويحوّل كتاباتنا إلى أبواق دعائية للكراسي ، ويعتّم على ما يجري من التفاعلات السلبية المناهضة للوجود الصحيح للإنسان والوطن والحياة.

وما نكتبه لا يكتبه الكاتب في الدول المتقدمة ، ولا يقترب منه مثلما نقترب , فما نكتبه يُظهر آليات تفكيرنا المنحرفة ، ونفوسنا المضطربة ورؤيتنا المشوشة , وبما نكتبه نساهم بتعزيز السلوك القائم وتوفير دواعي إستمراره , والحفاظ على إنجازاته الضارة والمدمرة.

فهل غيّرت كتاباتنا واقع الحال والمآل؟!!

بما نكتبه ربما نساهم في برامج التضليل وغسل الأدمغة , وإشاعة ثقافة البهتان وزعزعة الحقيقة وتمرير الأكاذيب ، ومؤازرة الذين يسرقون وينهبون ويعبثون بالبلاد والعباد.

وأصبحت نسبة كبيرة من الكتابات تخطها أقلام الكراسي ، وبأساليب جديدة وتوجهات تخدم في نهايتها تكريس الحالة القائمة ، ومنهاضة التغيير والتفاعل المعاصر مع الحياة.

ومعظم الكتابات ، عبارة عن إحتفاليات أحزان وآلام وإندفاع نحو إستلطاف الأوجاع والقهر والذل والهوان والحرمان ، وربط ذلك بالديمقراطية والقيم والمعايير الإنسانية النبيلة السامية , وفي ذلك إجهاز على الحقيقة وإطفاء للنور المعرفي ومنع للوعي الصادق الأصيل.

وقد كُتبت عشرات الآلاف من الصفحات عن الذي مضى وما إنقضى ، وأصحابها ينغمسون في لحظة زمنية ، وحالة يرفضون أمامها أبسط بديهيات الوجود وقوانين الزمن ومعاني ومعايير الحياة ، حتى تحولت الكتابات إلى موضوعات غثيثة مملة ومقرفة ، لا تأتي بجديد ونافع ومتواكب مع الحاضر والمستقبل.

نصوص ومقالات وغيرها وغيرها ، تدور في ذات النقطة وتغرف من ذات البئر ، وكأن الأجيال تدور في ناعور المراوحة وإعادة تصنيع المآسي والأحزان والويلات ، التي تحولت إلى طقوس عقائدية وسماوية يُنظر إلى الحياة بمنظارها الأسود.

ما نكتبه لن يبني حالة جديدة ذات قيمة حضارية وثقافية مؤثرة في صناعة الأجيال وبناء المستقبل، إلا فيما قل جدا وندر تماما.

حتى فقدت الكلمة قيمتها ودورها وتأثيرها في الواقع الإجتماعي والسياسي ، وما عادت تهم أوتعني أحدا ، وأصبحت المواقع والصحف ، منافذ للترويح النفسي ، وإنسكاب الإنفعالات والعواطف والتصورات.

وأصبح السائد هو الكتابة عن الأشخاص لتنمية شهرتهم وتحقيق وجودهم في وعي الناس ، ولن تؤثر الكتابات فيهم ، لأن لكل كرسي طابور أقلام منتفعة ، تسعى لتسفيه ومواجهة ما يُكتب حوله، وبهذا يتحقق الدعم الإعلامي في الوعي العام.

إن الأقلام مطالبة بثورة حقيقية على مستوى العقل والنفس ، ومراجعة رؤاها وتصوراتها وآلياتها ، ولتفكر بالمصلحة الوطنية أولا وأخيرا ، بعيدا عن النرجسية ، وتفخيم الذات ، والإمعان في وهم المعرفة وإمتلاك الحقيقة المطلقة.

فالكاتب لم يقدم مثلا ديمقراطيا يُحتذى به ، وعبّر عن المأساة السلوكية وعززها فيما يكتب ، ولهذا فسلوك الكراسي بأجمعها قد تأسن ، وما تبدل أو إمتلك رؤية ذات قيمة وطنية وحضارية. ولذلك فأن الثورة الحقيقية المطلوبة ، هي ثورة ثقافية.

ثورة القلم والعقل والنفس والروح.

وبدون هذه الثورة التي على الكتّاب أن يقوموا بها ، لن تتحقق مصالح الإنسان ، وسيضيع أي وطن ، وسيكون الكاتب أو المثقف ، هو الذي أسهم بفاعلية واضحة في هذا التفتت والإنحدار والضياع الحضاري والأخلاقي والتأريخي المروّع!!

"ثورة الأقلام صارت مطلبا لانطلاقٍ نحو آتٍ واعدٍ ";

ثانيا: نكتب ولكن!!

معظمنا قرأ لكتاب عرب يجيدون صنعة الكتابة ومهاراتها , وبرعوا فيها وتفوقوا , وما قرأنا لكاتب من بلادنا وتابعناه , لغياب قدرات الكتابة وتقنياتها.

تلك حقيقة علينا أن نواجهها , ونتعلم منها فنطوّر مهاراتنا الكتابية , لكي نؤثر في الواقع ونخلق تيارا ثقافيا معرفيا , يمتلك أدوات التغيير في مسيرة الحياة.

وقد كتبتُ كثيرا عن محنة الكتابة , وضرورة التواصي بتقنياتها وأساليبها , ومعرفة فنونها ومهاراتها الأسلوبية , والتفاعل بها مع القارئ لا مع الكاتب , فلجمتُ جماح قلمي , وأرغمته على الإختصار والإقتصاد , والتكثيف والتركيز والتوضيح والمباشرة , فالقارئ يريد ما قل ودل , وأن يعرف لا أن يجهد لمعرفة ما يُراد قوله.

ولا أدري أن ما ذهبت إليه صحيحا أم حالة أخرى قد لا تفيد , لكن محاولات صب الأفكار في أقل الكلمات تتواصل , وأتمنى أن أقطع شوطا مهما في دروبها الوعرة , لأنها تتطلب تقنيات وأساليب ومعارف

ما نكتبه لا يكتبه الكاتب في الدول المتقدمة ، ولا يقترب منه مثلما نقترب , فما نكتبه يُظهر آليات تفكيرنا المنحرفة ، ونفوسنا المضطربة ورؤيتنا المشوشة

بما نكتبه ربما نساهم في برامج التضليل وغسل الأدمغة , وإشاعة ثقافة البهتان وزعزعة الحقيقة وتمرير الأكاذيب ، ومؤازرة الذين يسرقون وينهبون ويعبثون بالبلاد والعباد

ما نكتبه لن يبني حالة جديدة ذات قيمة حضارية وثقافية مؤثرة في صناعة الأجيال وبناء المستقبل ، إلا فيما قل جدا وندر تماما

أصبح السائد هو الكتابة عن الأشخاص لتنمية شهرتهم وتحقيق وجودهم في وعي الناس ، ولن تؤثر الكتابات فيهم ، لأن لكل كرسي طابور أقلام منتفعة

إن الأقلام مطالبة بثورة حقيقية على مستوى العقل والنفس ، ومراجعة رؤاها وتصوراتها وآلياتها ، ولتفكر بالمصلحة الوطنية أولا وأخيرا ، بعيدا عن النرجسية ، وتفخيم الذات ، والإمعان في وهم المعرفة وإمتلاك الحقيقة المطلقة.

متراكمة , وقدرات على وعي فحوى الكلام المسطور.

فلكي تكتب ما يُقرأ عليك أن تتعلم مهارات أسلوبية , وتقنيات إبداعية تتفاعل مع القارئ وتشده إلى ما يقرأ , ولا بد أن يتمتع بما يقرأ , وإلا لماذا يقرأ , إذا كانت القراءة تتسبب له بوجع الرأس!!

فمعظم الكتابات الطويلة التي تتناول موضوعات معقدة , يذهب كتابها إلى زيادة تعقيدها , وإفهام القارئ بأنهم لا يعرفون ماذا يريدون قوله , فتجد نفسك في متاهة , وتنفر من المكتوب من أول عبارة أو فقرة.

وما يحزن أن موضوعات قيّمة وأفكار طيبة تقدم للقارئ بأسلوب غثيث.

فعلينا أن نتعلم كيف نكتب ما يُقرأ , لا أن نتوهم بأن كل ما يُكتب يُقرأ , فالعالم قد تغير وأصبحت الصورة تغني عن كتاب , فلا بد من مواكبة أسلوبية وثورة في تقنيات الكتابة وآلياتها , للوصول إلى الناس , وحثهم على التفاعل مع المكتوب , والتمتع بقراءته.

فهل أن ما نكتبه يمنح متعة القراءة؟!!

ثالثا: لمن نكتب؟!!

كتبتُ عن هذا الوضوع العديد من المقالات , التي جوبهت بالرفض والنقد القاسي من قبل الذين يكتبون لأنفسهم ولعدد قليل ممن يسمونهم بالنخبة , وعلى حد قول أحدهم " مَن بقرأ ما نكتب إنهم لا يتجاوزون عدد أصابع اليد..."

وهو إعتراف بأن الكاتب يكتب لنفسه ولبعض الذين يكتبون لأنفسهم مثله.

وتطالعني هذا الصباح كلمات لأحد الأساتذة المرموقين : "الكتّاب والصحفيون الرواد كانوا يكتبون للناس...اليوم هناك الكثير من الكتاب ورجالات الصحافة يكتبون لأنفسهم وليس للناس يرجى الإنتباه".

وأعود إلى المقالات التي نشرتها سابقا بهذا الخصوص , وأجد أن ما يُكتب لا يُقرأ , لأنه لم يُكتب للناس ,وإنما كتبه الكاتب لنفسه وحسب.

تعلمت من تفاعلي مع المجلات الرصينة العالمية , أنهم لكي ينشروا لي مقالة يحاسبونني على كل كلمة وعبارة , ويطلبون إعادة كتابة العبارة أو تغيير الكلمة , لكي تكون واضحة ومفهومة للقارئ.

وأذكر إحدى المقالات كان الأخذ والرد بيني وبين المحرر أكثر من عشر مرات , حتى إقتنع بأن ما جاء بالمقالة أصبح سهلا وواضحا ومفهوما.

تعلمت من هذه التجارب أن أكتب ما يفهمه القارئ ويتعلم منه , وفي أفضل حالات الوضوح والتبسيط والمباشرة , لكي أشد القارئ وأمنحه شيئا من متعة القراءة.

وكثيرا ما أتحوّل إلى ناقدٍ قاسٍ لما أكتبه , وأحاول أن أعيد ترتيب العبارات ونسق الأفكار , لكي تكون منسابة وقادرة على تشجيع القارئ على مواصلة القراءة , ولا أدري إن أفلحت ولا زلت أحاول!!

فالكتابة عناء ومهارة لا تُكتسب بسهولة , وإن كانت موهبة فتحتاج لصقل وتهذيب وترتيب وتدريب.

وبسبب فقدان أصول الكتابة وتقنياتها تجدنا نكتب لأنفسنا , وما نكتبه لا يتفاعل مع الناس , ولا تجد له صدى في الواقع , فما أكثر الأفكار القويمة المطروحة بأساليب غثيثة ومربكة!!

ترى إلى متى سنبقى نكتب لأنفسنا , ونتجاهل الكتابة للناس؟!!

رابعا: نكتب ولا نقرأ؟!!

فكرة الديمقراطية لا تعني الإنفلاتية , لكنها كذلك في مجتمعات تجهلها , وتتصورها كما تتوهمها , فتمضي في مسالك تدميرية تحسبها ديمقراطية.

لذلك فأن الثورة الحقيقية المطلوبة , هي ثورة ثقافية. ثورة القلم والعقل والنفس والروح.
وبدون هذه الثورة التي على الكتّاب أن يقوموا بها , لن تتحقق مصالح الإنسان , وسيضيع أي وطن

محاولات صب الأفكار في أقل الكلمات تتواصل , وأتمنى أن أقطع شوطا مهما في دروبها الوعرة , لأنها تتطلب تقنيات وأساليب ومعارف متراكمة , وقدرات على وعي فحوى الكلام المسطور.

علينا أن نتعلم كيف نكتب ما يُقرأ , لا أن نتوهم بأن كل ما يُكتب يُقرأ , فالعالم قد تغير وأصبحت الصورة تغني عن كتاب

تعلمت من تفاعلي مع المجلات الرصينة العالمية , أنهم لكي ينشروا لي مقالة يحاسبونني على كل كلمة وعبارة , ويطلبون إعادة كتابة العبارة أو تغيير الكلمة , لكي تكون واضحة ومفهومة للقارئ

تعلمت من هذه التجارب أن أكتب ما يفهمه القارئ ويتعلم منه , وفي أفضل حالات الوضوح

ومن هذه الدروب أو المنزلقات أن الجميع في ليلة وضحاها أصبحوا كُتّابا , وراحو يسطرون ما يحلو لهم من الكلام وفقا لهذيانات حرية التعبير عن الرأي , وما يعبرون عنه لا يقترب من مفهوم الرأي وإنما هو ترجمة لشر مفلوت , وبرهنة على الركاكة والقحط المَعجمي والأسلوب القبيح.

فالجميع يكتبون , والقراء غائبون , والذي يكتب لا يقرأ!!

بينما في واقع الكتابة أن عليك أن تكون قارئا مدمنا لكي تكتب , وإن لم تقرأ فلا يمكنك أن تكتب بقدرات ذات قيمة معرفية , وإنما ستتحول إلى صنف الذين ينطبق عليهم المثل الشعبي " كلمن صخم وجهه صار حداد"!! (أي كل من إصطبغ وجهه بالسواد قال أنا حَدّاد)

الكتابة مسؤولية أخلاقية وفكرية وثقافية تتطلب جدا وإجتهادا وأمانا وإخلاصا للكلمة وحرصا على اللغة , وروحا ذات نزاهة وإيمانٍ بالحقيقة وفقا لمعطيات وبراهين ودلائل رصينة وصادقة.

ولا يمكن لمن يكتب أن يكون مخمورا بالإنفعالية والعاطفية والتطرفية والطائفية والفئوية , والأفكار والمشاعر السلبية الداعية للكراهية والبغضاء والعدوان , والحث على الإجهاز على الإنسان , ولهذا فأن مثل هذه التطلعات الخبيثة ممنوعة في مجتمعات الدنيا ويُحاسب عليها القانون.

فالكتابة في مجتمعات ذات قيم وأخلاق ومفاهيم رحمانية وإنسانية , عليها أن تتعلم كيفيات التعبير الطيب وإنتقاء المفردة الجميلة المؤلفة للقلوب والأرواح , لكي تتهذب النفوس وترتقي التفاعلات وتتآزر الجهود وتنسبك القدرات في سبل الحياة الحرة الكريمة.

وما يجري في واقعنا الإعلامي يشير إلى إنفلاتية عدوانية وإنسكابية بغضاوية , تميل لتثمير الأحقاد والدعوة للكراهية والتمزق والإنقراض , وكأنها تجري على سياق ما مطلوب إثباته , وهو أن تضيع أمة العرب وتندحس في الأجداث.

فهل من إحترام للكلمة والتورع في الكتابة , لأن الكلمة الخبيثة طاعون الرؤوس والنفوس!!

خامسا: لماذا تكتب عن أحلام الأمة؟!!

والجواب , أن البحث فيما يعتري الأمة يكشف عن زعزعة نفسية تعصف في مسيرة الأجيال , لتوهمهم بأنهم عجزة , وخارج عصرهم وعليهم بالتبعية والخنوع للغير , وبإستلطاف مشاعر الدونية والإنكسارية والخمود والقنوط.

ولكي نبني إرادة الأمة ونرمم نفسيتها المتضررة , لا بد من إستحضار ما هو إيجابي في مسيرتها , لتنبيهها على أنها أمة ذات طاقات وقدرات ومهارات تؤهلها لكينونة حضارية أصيلة سامقة.

ومن أهم وسائل علاج الوهن والإحباط والخوار النفسي , أن نستحضر رموزها وأعلامها الذين واجهوا الصعوبات والتحديات , وعبّروا عن جوهرها المعرفي والعلمي , وما تنازلوا عن دورهم القيادي الإنساني الذي دفع بعجلة التطور إلى ما هي عليه اليوم.

فالأمة حية وتكنز القابليات والقدرات الكفيلة بتأكيد ذاتها وبناء موضوعها , والإنطلاق في تفاعلاتها المتميزة مع الآخرين من أبناء الدنيا أجمعين.

إنها أمة حضارات , ولم تكن أمة بلا جذور وإمتدادات في أعماق الأزل الذي بدأت منه الخطوات.

ولهذا فأن التذكير بدورها وقيمة ما قدمته للإنسانية من إنجازات أصيلة , يساهم في ضخ الأجيال بالمعنويات الإيجابية المحفزة على توطيد الثقة بالنفس , والعمل الجاد للإتيان بما يتناسب وجوهر الكوامن المكبوتة في دنيا الأجيال , التي يتم تعويقها وتعضيلها بالأضاليل والتقولات المجردة من الرصيد البرهاني والدليل الواضح.

والتبسيط والمباشرة , لكي أشد القارئ وأمنحه شيئا من متعة القراءة

كثيرا ما أتحوّل إلى ناقدٍ قاسٍ لما أكتبه , وأحاول أن أعيد ترتيب العبارات ونسق الأفكار , لكي تكون منسابة وقادرة على تشجيع القارئ على مواصلة القراءة , ولا أدري إن أفلحت ولا زلت أحاول!!

في واقع الكتابة أن عليك أن تكون قارئا مدمنا لكي تكتب , وإن لم تقرأ فلا يمكنك أن تكتب بقدرات ذات قيمة معرفية

الكتابة مسؤولية أخلاقية وفكرية وثقافية تتطلب جدا وإجتهادا وأمانا وإخلاصا للكلمة وحرصا على اللغة , وروحا ذات نزاهة وإيمانٍ بالحقيقة وفقا لمعطيات وبراهين ودلائل رصينة وصادقة

الكتابة في مجتمعات ذات قيم وأخلاق ومفاهيم رحمانية وإنسانية , عليها أن تتعلم كيفيات التعبير الطيب وإنتقاء المفردة الجميلة المؤلفة للقلوب والأرواح , لكي تتهذب النفوس وترتقي التفاعلات وتتآزر الجهود وتنسبك القدرات في سبل الحياة الحرة الكريمة

فواقع الأمة يقول بأنها حية متفاعلة مع أزمنتها , بإرادة مقدامة وثقة وإيمان وتفاؤل , وإصرار على إنجاز ما تريده من أهداف سامية ذات إشراق وتباشير إتيان.

فالأجيال عندما تدرك حقيقة مسيرتها وجذورها , ستتوثب وترفد الحياة بما فيها من الأفكار الجادة , والتطلعات الماجدة الكفيلة برسم خارطة المجد العربي الأثيل.

فتحية لأجدادنا , فهم قدوتنا وموئل وجودنا السامق النبيل!!

وفي الختام . الكتابة حرفة أو صنعة لها أدواتها ومهاراتها , التي برع فيها أجدادنا , وأحدثوا الثورات التعبيرية والأسلوبية , وبرز منهم الكتاب الكبار الذي وضعوا الأسس القويمة لفن الكتابة , ولاتزال كتاباتهم ذات أريج فوّاح وعطر تعبق منه الأجيال , وعلينا أن نقتدي بهم ونعطي للكتابة قيمتها وجماليتها ودورها الإيجابي في صناعة الفكر الحضاري المنوّر للحياة.

واقع الأمة يقول بأنها حية متفاعلة مع أزمنتها , بإرادة مقدامة وثقة وإيمان وتفاؤل , وإصرار على إنجاز ما تريده من أهداف سامية ذات إشراق وتباشير إتيان

إرتباط كامل النص:
http://www.arabpsynet.com/Samarrai/DocSamarraiWaMaSawahaa353-200623.pdf

*** *** ***

شبكة العلوم النفسية العربية

نحو تعاون عربي رقيا بعلوم وطب النفس

الموقع العلمي
http://www.arabpsynet.com/

المتجر الالكتروني
http://www.arabpsyfound.com

الكتاب السنوي 2023 لـ " شبكة العلوم النفسية العربية " (الاصدار الثالث عشر)

الشبكة تدخل عامها 23 من التأسيس و 20 على الويب

23 عاما من الكدح... 20 عاما من المنجزات

(التأسيس: 2000/01/01 - على الويب: 2003/06/13)
http://www.arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynet.pdf

كتاب "حصاد النشاط العلمي لمؤسسة العلوم النفسية العربية للعام 2022

التحميل من الموقع العلمي
http://www.arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynet-AlHassad2021.pdf

الكتاب الذهبي لشبكة العلوم النفسية العربية للعام 2022 (الفصل السابع: من الكتاب السنوي للشبكة)

التحميل من الموقع العلمي
http://arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynetGoldBook.pdf

اشتراكات العضوية بمؤسسة العلوم النفسية العربية للعام 2022

اشتراكات العضوية

عضوية "الشريك الفخري الماسي المميّز" / "الشريك الفخري الماسي"

عضوية "الشريك الشرفي الذهبي "
http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_category=36&controller=category&id_lang=3